تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 11- سورة الحج | الأية 52

عبدالرحمن العجلان

الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه. سواء العاكف فيه - 00:00:00

والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم مذقه من عذاب اليم في هذه الاية الكريمة يبين جل وعلا تعدي وظلم الكفار الذي استحقوا به الحكم السابق عليهم في الايات السابقة وقال جل وعلا ان الذين كفروا - 00:00:41

ويصدون عن سبيل الله يصدون بمعنى يمنعون الناس عن سبيل الله يمنعون الناس عن الاسلام ويمنعون الناس عن التفهم لما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم فمن رأوه - 00:01:19

جاء حول النبي صلى الله عليه وسلم شنعوا عليه واذوه ومنعوه ولم يكن من جرمهم انهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وخلوا بينه وبين الناس لا بل زيادة على كفرهم منعوا الناس - 00:01:48

عن المجيء الى النبي صلى الله عليه وسلم. والاخذ عنه والاستماع لما يقوله صلى الله عليه وسلم ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام كذلك يصدون يمنعون الناس عن المسجد الحرام - 00:02:16

يمنعون المسلمين عن الاتيان والوصول الى بيت الله الحرام. وقد حصل هذا منهم فقد احرم النبي صلى الله عليه وسلم بالعمرة من المدينة متوجها الى مكة فمنعه المشركون وصدوه عن الدخول - 00:02:42

حصل بعد ذلك ما حصل من صلح الحديبية بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش على ان يرجع من هذه السنة جاء محرما هو وصحابته الكرام وهم افضل خلق الله - 00:03:10

في ذلك الوقت والنبي صلى الله عليه وسلم افضل الخلق على الاطلاق واحب الخلق الى الله ومنع من الوصول الى بيت الله الحرام ويصدون عن المسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد - 00:03:35

يمنعون الناس عن الوصول الى المسجد الحرام. والحال ان المسجد الحرام ليس ملك وليسوا مختصين به. ولا لهم ميزة على غيرهم. فالمسجد الحرام من ميزته ان يستوون فيه المولود فيه - 00:04:00

والمقيم فيه والوافد اليه من قريب او بعيد. كل المسلمين فيه لا ميزة لاحد على احد لا يقول بعض الناس انا مواليد المسجد الحرام فانا احق به؟ لا ولا يقول انا مقيم فيه من عشرين سنة فانا احق ممن قدم منذ عشر سنوات - 00:04:27

بل الناس سواء ميزه الله جل وعلا على سائر البقاع بان جعل الناس في المسجد الحرام سواء وهذه في المسجد هذا الذي نحن فيه شرفه الله بالاجماع بان الناس فيه سواء - 00:05:02

والخلاف في مكة في بقاع مكة او بقاع الحرم كما سيأتينا قريبا ان شاء الله واما المسجد هذا الذي نحن فيه شرفه الله فهذا يستوي فيه المقيم دائما وابدا والوافد اليه من قريب او بعيد - 00:05:27

فكون المرء يمنع الناس من بيته او مما يخصه مثلا في غير المسجد الحرام لكان لذلك وجه لكن اولئك الكفار جنوا جنايات متعددة فهم كفروا بالله وصدوا عن سبيل الله. وصدوا عن بيت الله الحرام - 00:05:53

الذي جعلناه للناس سواء العاكف يعني المقيم المستمر العاكف من العكوف والعكوف الاقامة في المكان والباد يعني القادم اليه والمراد بالباد او الباد القادم من البادية وسواء كان قادما من البادية او قادما من مدينة اخرى او بلد اخر. لكن قيل - 00:06:25
لانه لا يصل الى مكة الا بعد ما يمر في البادية يخرج من بلاده ويمر بالبرية بالبادية يصل الى مكة. فلا يوصل اليها الا من طريق البادية الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد. ومن يرد فيه - 00:07:02
في الحاد بظلم غيرت يريد في المسجد الحرام يريد فيه الالحاد والالحاد الميل عن القصد والميل عن القصد قد يكون مال عن الشر الى الخير وهذا يحمد عليه وقد يكون مال عن الخير الى الشر. وهذا يذم عليه - 00:07:30
وبين جل وعلا المراد بان الالحاد الميل في هذه الاية. الميل من السبيل طريق السوي الى الى الى المحرم الى الظلم والظلم التعدي لحق الغير واظلموا الظلم الشرك بالله ثم يليه - 00:08:03
ظلم العباد والله جل وعلا كما في الحديث القدسي حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرما. يقول جل وعلا فلا تظالموا ومن يرد فيه بالحاد بظلم وانتبه لقوله يرد - 00:08:36
ارادة لم يقل ومن يعمل مجرد ارادة الظلم بمكة يعاقب عليها المرء الهم السيئة في مكة يعاقب عليها وذلك زيادة في حرمة مكة شرفها الله وقد ورد في الحديث الصحيح - 00:09:00
من هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله حسنة كاملة من هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله حسنة كاملة. هذا في غير مكة واما في مكة فمن هم بسيئة اخذ بها وان لم يعملها - 00:09:27
ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذيق جواب الشرط جزاء الشرط ما هو؟ نذقه من عذاب اليم توعد الله جل وعلا من اراد الظلم بمكة او هم بظلم بمكة او عزم على ظلم بمكة وان لم يفعله بهذا الوعيد الشديد - 00:09:52
والظلم قيل الشرك وقيل القتل وقيل المعاصي مطلقا حتى قال بعض السلف بلى والله ولا والله يعني الحلف بغير حق يعتبر من الالحاد بظلم روي عن بعض السلف رحمهم الله انه - 00:10:25
اذا اراد ان يؤدب ولده او اهله خرج عن مكة الى الحل يخشى ان يتجاوز للتعذيب فيصل الى حد الظلم تشمله هذه الاية بهذا الوعيد وقوله جل وعلا ان الذين كفروا ويصدون - 00:10:55
هنا عطف المضارع يصدون على الماضي وهو كفروا كفروا ما ويصدون مضارع قال بعض المفسرين لان المراد بالمضارع هنا ما مضى من الصد يعني من المنع لانه قال ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله والمسجد الحرام - 00:11:26
قالوا جاز عطف المضارع على الماظي لانه مرادا بهذا المظارع ما مظى وقيل المراد بالصد هنا الاستمرار لا مجرد المستقبل فصح عطفه بذلك على الماظي اي كفروا والحال انهم مستمرون في الصد عن سبيل الله - 00:12:06
وقال بعض اهل اللغة ان الذين كفروا يصدون عن سبيل الله الواو هنا زائدة داخلة على خبر ان ان الذين كفروا يصدون عن سبيل الله. يعني اخبار عن ما جنوه من الاثم - 00:12:39
وكونه مرادا بالمضارع ما مضى او ما يستقبل باستمرار هذا اولى من اجل ان يكون الخبر يقدر فيما بعد ان الذين كفروا والحال انهم يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء الهاتف فيه - 00:13:06
الى الان الخبر ما جاء الخبر يقدر هنا بعد قوله سواء العاكف فيه والباد يقال خسروا وهلكوا والمسجد الحرام ما المراد به؟ هل المراد به المسجد ذاته وما زيد فيه - 00:13:33
او المراد به مكة بلد مكة كلها او المراد به الحرم يعني اولا المسجد ثم مكة ثم الحرم لان الحرم اوسع من مكة ثلاثة اقوال المفسرين رحمهم الله ويرجح ان المراد بالمسجد الحرام هنا الحرم كله - 00:13:58
ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دخول الحرم كانوا منعوه من دخول الحرم في صلح الحديبية كان على حد الحرم ومنع الرسول صلى الله عليه وسلم من الدخول - 00:14:31
الى الحرم الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد يعني منسكا ومتعبدا للناس كلهم ولم يميز المقيم من القادم في مكة كما كان

في الجاهلية كان كانوا في الجاهلية في اداء المناسك - 00:14:51
قريش ومن يتبعهم يقفون في مزدلفة ولا يخرجون لعرفة والقادمون من غيرهم يقفون في عرفة فهم قالوا نحن اهل الحرم فلا نخرج منه وحينما حج النبي صلى الله عليه وسلم - 00:15:37
حجة الوداع وهي الحجة الاولى منه صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة توقع الناس انه يقف في مزدلفة لانه من صميم قريش صلوات الله وسلامه عليه فامره الله جل وعلا ان يقف في عرفة - 00:16:06
ثم افيضوا من حيث افاض الناس فسوى جل وعلا بين اهل مكة وغيرهم في الحرم وفي احكام الحج قال القرطبي رحمه الله واجمع الناس على الاستواء في المسجد الحرام نفسه - 00:16:31
يعني لا ميزة لاحد على احد في المسجد الحرام نفسه. المسجد هذا الذي شرفه الله واختلفوا في مكة فذهب مجاهد ومالك الى ان دور مكة ومنازلها يستوي فيها المقيم والطارئ - 00:17:00
وذهب عمر بن الخطاب وابن عباس وجماعة الى ان للقادم ان ينزل حيث وجد وعلى رب المنزل ان يؤويه شاء ام ابى وكان الناس لا يتخذون لدور مكة ابوابا في السابق - 00:17:25
لينزل القادم الى مكة حيث شاء وذهب الجمهور من العلماء الى ان دور مكة ومنازلها ليست كالمسجد الحرام ولاهلها منع الطارئ من النزول فيها وبعضهم اجاز التملك ومنع التأجير وقال دور مكة لا تؤجر - 00:17:52
وانما يملكها صاحبها ولا يصوغ له ان يؤجرها. لقوله جل وعلا سواء العاكف فيه والباد وعرفنا مأخذ الخلاف من بين العلماء رحمهم الله لانه ان كان المراد مكة او الحرم في قوله جل وعلا الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد - 00:18:27
فهذا دليل على ان بيوت مكة لا يجوز بيعها ولا تأجيرها وانما تكون للسابق اليها وبعض المفسرين رحمهم الله اراد بالمسجد الحرام هنا المسجد نفسه فقال يجوز بيع وتأجير بيوت - 00:18:56
مكة وبعضهم قال يجوز بيعها ولا يحل تأجيرها. وذكر عند الامام احمد رحمه الله ان عالما من علماء السلف سكن دارا وهرب ولم يدفع الاجرة فتبلغ الامام احمد بذلك فتبسم. تعجبا - 00:19:18
من انه اخذ بقول انه لا يحل تأجيرها ولم يعنف عليه وهذا الخلاف ناشئ من فهم المراد بالمسجد الحرام ثم يتفرع عليه هل مكة فتحت عنوة او صلحا والصحيح انها فتحت عنوة - 00:19:46
لا صلحا ان النبي صلى الله عليه وسلم دخلها مقاتلا وقد احلها الله جل وعلا له ساعة من نهار ثم عادت حرمتها كحرمتها بالامس كما قال صلى الله عليه وسلم وهو واقف بباب الكعبة يخطب قريشا - 00:20:17
ان الله احلها لي تكريما لرسوله صلى الله عليه وسلم فدخلها عليه الصلاة والسلام فاتحا منتصرا مؤيدا بنصر لله جل وعلا وكان في البيت ثلاثمائة وستون صنما وكان النبي صلى الله عليه وسلم كلما مر بواحد منها اشار اليه عصا معه - 00:20:40
فتساقطت ولم قبل ان تمس تساقطت والنبي صلى الله عليه وسلم يشير اليها ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا عن ابن عباس رضي الله عنهما المسجد الحرام الحرم كله - 00:21:07
خلق الله فيه سواء وعن سعيد بن جبير مثله وايضا قال هم في منازل مكة سواء فينبغي لاهل مكة ان يتوسعوا لهم حتى يقضوا مناسكهم وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلا قال له عند المروة اقطعني مكانا لي ولعقبي فاعرض عنه وقال - 00:21:32
اي عمر رضي الله عنه هو حرم الله سواء العاكف فيه والباد وكان عمر رضي الله عنه يمنع اهل مكة ان يجعلوا لها ابوابا حتى ينزل الحاج في عرفة الدور - 00:22:00
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاية سواء المقيم والذي يدخل اخرجه الطبراني وغيره. قال السيوطي باسناد صحيح وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا قال مكة مباحة لا تؤجر بيوتها ولا تباع رباعها اخرجه ابن - 00:22:21
واستدل الذين قالوا لان المراد المسجد نفسه دون بيوت مكة بقوله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح من اغلق بابه فهو امن ومن دخل

دار ابي سفيان فهو امن فنسب الدار الى صاحبها من اغلق عليه بابه او داره فهو امن. ومن دخل دار ابي سفيان فنسب الدار الى ابي سفيان - 00:22:46

فهو امن ومن الادلة كذلك ان عمر رضي الله عنه اشترى دارا من صاحبها بمكة وجعلها سجنا والمراد بالظلم قيل هو الشرك وقيل الشرك والقتل وقيل التعدي على صيد حيوانات وقطع اشجاره وقيل هو الحلف فيه بالايمان الفاجرة - 00:23:18

وقيل يعم جميع المعاصي حتى قال بعض العلماء حتى شتم الخادم يدخل تحت ضمن الالحاد في الحرم وقيل هو دخول الحرم بغير احرام. اي انه لا يجوز دخول مكة بغير احرام - 00:23:45

وقال بعضهم يدخل في ذلك احتكار الطعام. احتكار الطعام بمكة من الالحاد والميل في الحرم وفي قوله جل وعلا نذقه من عذاب اليم يا اي في الاخرة الا ان يتوب لان من تاب تاب الله عليه - 00:24:13

قيل المراد بهذه الاية انه يعاقب بمجرد الارادة للمعصية في ذلك المكان وقد ذهب الى هذا ابن مسعود وابن عمر والظحاك وابن زيد وغيرهم. حتى قالوا لو هم الرجل في الحرم بقتل رجل بعدن لعذبه الله - 00:24:38

وقال ابن مسعود رضي الله عنه من هم بخطيئة فلم يعملها في سوى البيت لم يكتب عليه حتى يعملها. وان هم بخطيئة في لم يمته الله من الدنيا حتى يذيقه من عذاب اليم - 00:25:01

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال نزلت هذه الاية في عبد الله بن انيس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه مع رجلين احدهما مهاجر والاخر من الانصار. فافتخروا في الانساب - 00:25:22

فغضب ابن انيس فقتل الانصاري. ثم ارتد عن الاسلام وهرب الى مكة فنزلت فيه. ومن يرد فيه الحاد بظلم يعني من لجأ الى الحرم بالحاد بميل عن الاسلام فهذه الاية فيها دلالة عظيمة على تعظيم الله جل وعلا لحرمة الحرم - 00:25:41

وان الواجب على المسلم ان يعظم ما عظم الله جل وعلا. فلا يتعدى فيه على مال ولا عرظ ولا بدن ولا يؤذي به اخاه المسلم ولا يتجاوز الحد الذي حد له وليتق الله جل وعلا ربه وليعظم ما عظمه الله جل وعلا - 00:26:09

رسوله صلى الله عليه وسلم والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:26:33